

عبد الله أبو سنيعة

الالتراس

رواية

2015

#1

تكوين



الألتراس

عبد الله أبو سنينة

#1

تکوین

(إهداء + شكر)

لكل مسؤول وصل لمنصبه ويعمل بجد وأمانة

أتمنى أن يصل!

تنويه من الكاتب

لا تحاول تجربة ما في هذا الكتاب في المنزل، أو المدرسة،
أو الملعب، أو المكتب، أو منزل أحد لاعبي فريقك
المفضل، أو الكافيتيريا، أو المشفى، أو أي مكان آخر.

المجزرة

أسبق لك وأمسكت رأسًا تخرج منه الجمجمة من الجبهة مغطية
الوجه بالدماء والعظم المتهشم؟

تصرخ للحياة أن تعود، أو للموت أن يهرب، ولكن لا أحد
يسمع.. رغم أنك بين أكثر من خمسين ألفاً!

أبيض وأسود هو لون قميص فريقنا، لكن في ذلك اليوم تحول
إلى الأحمر. الدماء كانت في كل مكان. الجمهور يتدافع، يتقاتل،
ويهرب. كانت الأقدام الهاربة تضرب الفراغات بين المقاعد
البلاستيكية للملعب كعصي طبال فكانت بعض قطرات الدم تعلق
على قاع حذاء الهارب، تنتشبت بها، ولا تفلت إلا عندما يركض
لخطوات أخرى لتطير إلى أقدام هارب آخر.

الجميع امتلأ بالدماء، صُبغت أقمشة ملابسنا به، وتحولت ألوان
قمصاننا إلى الأحمر رغم أن فريقنا يلبس الأبيض والأسود
والخضم يرتدي الأزرق السماوي. لكن يومها توحدنا بارتداء
قميص موحد اللون، لون الدم.

كيف دخلت العصي والدبسات والشفرات إلى الملعب؟!

أين الأمن؟!

نعم، صحيح!!

كان هناك أمامي، يساعد بالنقتيل!

من الواجب أن يُبَحَّ صوت مشجع كرة القدم أثناء تشجيع فريقه،
لكن ليس لسبب آخر، خاصة إن كان ذلك السبب هو الصراخ
بسبب رؤية جمجمة صديقك المفضل ترقد بين يديك كرضيع لا
حيلة له.

إميليو سالفاتوري، صديقي ورئيس ألتراس مشجعي فريقنا، قُتل
يومها بالملعب. ربما كان ذلك هو المكان الذي ودَّ الموت به، لكن
ليس بتلك الطريقة.

تبدأ أغاني الألتراس قبل المباراة بساعات، وعلى طول الطريق
نحو الملعب، أو المقبرة في ذلك اليوم.

"نحن الأبيض والأسود..

أبيض لعبنا..

نظيف كالتلج..

أما الأسود..

مصير من يلاعبنا..

لا نرضى بغير الفوز..

لا نرضى بغير الفوز..

فلون الفوز أبيض وأسود..."

حملت إميليو على أكتافي نقود الآلاف المؤلفة من جمهور فريقنا.
رافقت الطبول حناجرنا الصادحة لدعم الفريق الذي ننتمي إليه.

لا يوجد جائزة موسيقية يمكن أن توفي جمهور فريق كرة قدم
حقه. التشجيع ليس موسيقى ولا أغاني، هو قُداس مولود جديد
وترنيمة موت في الوقت نفسه.

على المضيف أن يحترم الضيف، لكن ليس بكرة القدم. رأينا
الجماهير القليلة للفريق الزائر على مشارف أبواب جماهير

كانت كل التوقعات تصب لصالح فريقنا فقد كان بعيداً في الصدارة، على عكس الفريق المنافس الذي كان يصارع الهبوط. لكن المسألة لم تكن فقط مسألة جدول الترتيب العام، فالمباراة كانت "ديربي". وعندما يلتقي فريقان من نفس المدينة تتكوّن بطولة خاصة، بغض النظر عن الترتيب العام للبطولة العامة.

يتسع ملعبنا لأكثر من خمسين ألفاً لكنه امتلأ عن آخره قبل صافرة الحكم بأكثر من ساعتين. إميليو، ظهره للملعب ووجهه للجمهور، يقودهم في الحرب.

أن تكون قائد الألتراس لفريقك قد يحرمك من رؤية اللعب، فاهتمامك الأكبر يكون منصباً على توزيع النوتات الموسيقية على الموسيقيين. إميليو، كان الأفضل بذلك، حتى باعتراف الفرق المنافسة ولهذا أطلق عليه لقب "المايسترو".

أنتذكر في مرة من المرات حين كان لدينا مباراة خارج ملعبنا، وحسب ما هو معروف، فالمضيف يلبس زيه الأساسي والمضيف يلبس الزي الاحتياطي إن كان الأساسي يشبه زي المضيف بألوانه. كان زي الفريق المضيف هو الأبيض الكامل وتقرر قبل

المباراة أن يلعب فريقنا بالزبي الأساسي. لكن قبل أن يطلق الحكم صافرة البداية، رأى أن الألوان متشابهة كثيراً وقد تسبب لبساً كبيراً على أرضية الملعب، فقام بإخبار مدير فريقنا بأنه يجب علينا ارتداء قمصان من لون آخر. هذا لم يكن بالحسبان، ففريقنا لم يجلب معه قمصاناً من لون آخر فاضطر إلى استعارة قمصان زرقاء من الفريق المنافس.

قام الجهاز الفني لفريقنا بكتابة أرقام وأسماء لاعبي فريقنا على القمصان الزرقاء بواسطة الشريط اللاصق الأبيض، وقاموا بتغطية شعار النادي المنافس.

أدرك جمهور فريقنا ذلك فور صعود اللاعبين على أرضية الملعب. لكن إميليو كان منهمكاً بقيادة الألتراس فلم يدر وجهه نحو الملعب طوال زمن المباراة، حتى خلال فترة "الاستراحة!!" عندما أطلق الحكم صافرة نهاية المباراة أدار إميليو وجهه أخيراً ليرى فريقين، الأول بالأبيض الكامل والآخر بالأزرق. لم يجد الأبيض والأسود الذي تغنى به دائماً فتفاجئ لدرجة إنه صمت،

وهو الذي لم يصمت أبداً عن تشجيع فريقه، إلى أن قُتل وهو يشجع.

أطلق الحكم صافرة البداية!

اشتدت أصوات الجماهير!

أكثر من مئة ألف عين تابعت الكرة كما تلاحق أنظار الشبان فتاة حسناء!

من سيكسب ودها بالنهاية؟!

"سنكتسحهم!!"

هكذا ظننا!!

كان لاعبو فريقنا أشباحًا. لم يستحونوا على الكرة، لم يحاولوا، لم يهددوا مرمى الخصم.

انتهى الشوط الأول سلبياً بكل شيء.

لم نتوقف عن التشجيع بين الشوطين رغم أن لاعبونا لم يلعبوا جيداً. نحن لا نشجع اللعب، نحن نشجع الفريق حتى لو كان

خارج الملعب، فمباراة كرة القدم، كما سلف وذكرت، لا تقتصر على التسعين دقيقة فقط.

انطلق الشوط الثاني.

التكاسل كان واضحاً على لاعبينا!

وصل مهاجمونا مرمى الخصم للمرة الأولى في المباراة بعد انطلاق أكثر من ساعة، ولم يكن الوصول بسبب سرعة أو مهارة مهاجمينا لكنه كان من خطأ فادح لحارس مرمى الفريق الخصم الذي أهدى الكرة لرأس حربتنا. كان باستطاعة هذا الأخير أن يضع الكرة بالمرمى بكل سهولة لكنه فضل التمرير لزميله الذي تباطأ بوضع الكرة بالشباك الفارغة عن بعد أمتار فقط!!

الجميع يضيع الفرص، لكن الطبيعي أن تندب "حظك" عندما تفعل ذلك، لا أن تتصرف وكأن لا شيء حصل.

اشتاتت الجماهير غضباً وبدأت تطلق صافرات الاستهجان على الفريق.

الدقيقة التاسعة والستون كانت الشرارة!

عبر متوسط ميدانهم أكثر من عشرين متراً في ملعبنا دون أي مواجهة، وسدد من خارج المنطقة كرة ضعيفة جداً لكنها عبرت من تحت أقدام الحارس لتكون هدفاً أولاً للخصم.

انفعل الجمهور وتدافع عدد كبير منهم لاقتحام أرضية الملعب ونجح الكثير منهم في ذلك. تدخل الأمن.

بدأ الضرب من جميع الاتجاهات!

لم استطع تحديد من كان الضارب ومن كان المضروب فالدماء كانت تغطي الجميع، حتى لو لم تكن مصاباً. الضربة الوحيدة التي أذكرها تماماً هي التي تلقاها إميليو. تلقى إميليو الكثير من الضربات لكنني أتحدث عن التي قتلته.

رغم أنه تلقى الضربة على جبهته إلا أنه سقط إلى الأمام حيث كنت أنا. شُقَّ رأسه فخرجت كسرات من جمجمته. حاولت إعادتها إلى داخل رأسه بيدي لكن جبهته تمزقت أكثر فخرجت أجزاء أخرى مختلفة الحجم وبيضاء اللون من جمجمته إلى الخارج حيث أصبح رأسه شبه فارغ مثل علبة بلاستيكية نصف

ممتلئة، حيث إن قمت بالضغط عليها يتغير شكلها تحت
أصابعك.

كنت أريد أن آخذ جثة صديقي، ومايسترو ألتراس فريقي معي
لكن الفوضى العارمة من حولي حالت دون ذلك، فالسكاكين
والعصي كانت ما تزال تطعن وتضرب، والأسنان تتطاير والدماء
تسري بين مقاعد الملعب مثل دماء ضحية آرتيكية تتصفي نحو
أسفل الهرم.

يا لها من صدفة غريبة ومريبة! فالملعب الذي شهد مولد الموجة
كان ملعب الآرتيكا، وجمهور فريقنا كان دوماً كموجة بيضاء
وسوداء، موجة تلو الأخرى، والآن، الأمواج نفسها، تضمحل
وتموت هنا على طريقة ضحايا الآرتيك!

لا أمان!

ولا مهرب!!

كان بصري ملتصقاً بما بقي من إميليو ولم أفق على ما حولي إلا
بعد أن تلقيت ضربة على خدي الأيمن. التفت لأرى من كان ذلك

لكنها كانت يداً مبتورة من عند المرفق. أجلست جثة إميليو على مقعد من مقاعد الملعب ولففته بوشاح الفريق ثم ركضت مبتعداً!

لم أستطع التمييز بين أي أحد في الملعب فالكل كان مغطى بالأحمر، لا الملابس ولا الوجوه كانت ظاهرة!

فكرت بأن أتوجه إلى أرضية الملعب "الخضراء" لكنني غيرت رأبي عندما نظرت إليها، فالتربة كانت قد تشربت دماء حتى ثملت وكانت الأطراف البشرية قد حلت محل العشب الأخضر.

حينها أصبح للمشجع دور على أرض الملعب!

لا بد أنني أعرف معظمهم!!

لا أعلم كيف لم أتقياً بعد كل ما رأيته وشمته أيضاً! رائحة

الدماء، الأطراف المبتورة، البطون المبقورة، الموت!

في تلك المباراة، كان الموت هو رجلها دون منازع!

كيف تُوقِف الموت؟!

هل تقتله؟!

حتى وإن قتلته! ألا يعني هذا موتاً جديداً!؟

دنست كرامة الأموات بالسير على جثثهم لكن كان لا بد من ذلك حتى أهرب من الملعب، نعم "أهرب" كان ذلك هدفي الأول حينما فكرت بالخروج من الملعب حينها. خرجت!

الشرطة والجيش والقوات الخاصة، وكل من امتلك سلاحاً كان خارج الملعب يطلق الرصاص على لا أعلم أين، ومن!

كان عدد الجثث خارج الملعب أقل بكثير مما كان في الداخل لكنها كانت معيقة للحركة أيضاً.

كانت الاشتباكات مع الجميع، لا أنت مع هذا ولا ذاك، لكن الأمر استلزم إيجادك لسلاح للدفاع عن نفسك. فعلت هذا. رفعت طوبة كبيرة وألقيتها بقوة على الأرض لتتكسر إلى قطع يسهل رميها. بدأت برمي الحجارة بقوة! لكن دون تحديد هدف! لم يكن أصلاً تحديد هدف ممكناً فالدخان المنبعث من الإطارات المحترقة أعمى رؤيتنا وقنابل الغاز خنقت أنفاسنا. لم أكن قادراً على

تحديد أي شيء سوى بعض الشماريخ التي أشعلها بعضنا، لكن
لفترة فقط فغاز القنابل أسقطني مغشياً عليه!

ما بعد المجزرة

عندما استيقظت شعرت بأنني كنت على سرير غريب عني، كنت محققاً. لم أكن بغرفة مستشفى أو عيادة طبية. لو استيقظت وأنا بشقتي لربما ظننت أن ما حصل كان مجرد كابوس لا أكثر، لكن استيقاظي بمكان غريب أعطى المصادقية لما حصل معي قبل وقوعي مغشياً علي.

نظرت إلى رسغي فلم أجدهما مكبلين بالأصفاة فعرفت أنني لم أكن بسجن يتبع لأمن الدولة. لكنني وجدت على الجدران آثاراً كثيرة لشريط لاصق وثقوب بفعل مسامير لتعليق البراويز.

ماذا حصل في الملعب؟!

كان الأمر كقصر كبير، وبعد دقيقة، تم نسف ذلك القصر!!

انفجر الملعب وكانت الشظايا هي جثث المشجعين!

وأنا على السرير الغريب، عدت أسماء من تعرفت عليهم من الجثث إلى نفسي. فاق العدد المئة! وأنا أعلم أنني أعرف معظم من قُتل هناك لكن أعزهم علي يبقى إميليو.

لم أنتظر طويلاً لأعرف من كان مضيّفي، دقائق بعد صحتي،
دخل لويجي بارتولي لوحده إلى الغرفة.

بالنسبة لي أو لأي مشجع آخر لفريقنا، كل ما يهم أن تعرفه عن
لويجي بارتولي هو أنه قائد ألتراس الفريق الآخر بالمدينة،
الخصم اللدود، والعدو بالفطرة. "كيف أنت الآن؟" سألني السيد
بارتولي.

- أعتقد أن بدني بصحة جيدة!

- هذا جيد، فنحن لا نريد مصابين أو قتلى آخرين!

- ما هو عدد القتلى؟

لم يجب السيد بارتولي على سُؤالي فأعدت السؤال مرة أخرى.
"الآن عليك التركيز على صحتك أنت!" كان رده.

لم يطل السيد بارتولي البقاء حيث كنت أستريح. لكنه تمنى لي
السلامة قبل أن يخرج.

لأكون منصفاً، كان السيد بارتولي محترماً جداً معي. وعنايته
بي كانت عنواناً لتصرفه النبيل تجاهي. لم أكن أعلم السبب

الذي دفعه إلى الاهتمام بي لكنني كنت شاكرًا لوجوده، عدت إلى النوم.

في صباح اليوم التالي، أيقظني مراهق يحمل صينية عليها فطورًا وكأسًا من الحليب وقدمها لي. شكرته على ذلك. وقبل أن يخرج المراهق من الغرفة سألته: "هل أنت ابن السيد بارتولي؟"

- كلا

- أين هو؟!

- بالمقبرة، لدفن ابنه

كان رده نهاية لاستجابي السريع له.

تذكرت إميليو! هل دُفن؟!

وضعت صينية الفطور جانبًا دون أن أضع لقمة بطني، حاولت النهوض من الفراش لكنني شعرت بوخزات موجعة بخاصرتي عند التحرك وتأوهت من الألم. انتبه المراهق إلي فجاء إلى الغرفة ورآني أستند إلى حافة السرير الخشبية لتساعدني على الوقوف. اقترب الصبي مني ونصحني بالعودة إلى السرير وأشار

إلى شريط مسكن للألم إن كنت بحاجة إلى أحد الأقراص. عدت إلى السرير، وسكب الفتى كوب ماء لي وأعطاني قرصين من الشريط. ابتلعتهما وحاولت النوم.

لم أنم لكن الألم كان قد خف بشكل كبير. بعد ساعة تقريباً وعندما كنت أهم بالنهوض مجدداً، دلف السيد بارتولي إلى الغرفة مرتدياً بدلة سوداء وكان الفتى يرافقه. "مرحباً" بدأ السيد بارتولي الحديث.

- مرحباً.. سمعت عن ابنك و.. أتمنى أن يرقد بسلام!
- شكراً
- وأريد أيضاً أن أشكرك لاعتنائك بي
- لا تقلق، فأنا لم أقم سوى بالواجب

كنت ما أزال بالسرير، ولكن عندما رأيت أنه على حافة البكاء، قاومت الألم الذي نتج عن نهوضي. اتجهت نحو السيد بارتولي بخطوات غير ثابتة وعانقته. بكى بحرقة جانب رأسي وهو يشكي: "إنه شاب! مات وهو شاب!!"

مسح عيناه بعدما انتهينا من عناقنا وقال لي: "لوكا.. أنا حقاً
ممتن لك!"

لم أعلم لحظتها لم كان ممتناً لي، وذلك العناق الصغير ليس
بالشيء الكبير الذي يستحق الامتنان، على ما أعتقد!

كيف عرف اسمي؟

على الأغلب أنه رأى بطاقة هويتي!

"سئلتني لاحقاً سيد سانتانا!" قال السيد بارتولي.

- بالتأكيد، ومرة أخرى، شكراً جزيلاً
- شكراً جزيلاً لك سيد سانتانا.. ونحن بحاجة إلى اجتماع
- نحن؟!

لم يتكلم السيد بارتولي لكنه أمر الفتى بجلب صحيفة صبيحة
اليوم السابق. جلب الفتى الصحيفة بسرعة وأعطاها للسيد
بارتولي والذي بدوره أشار إلى العنوان الرئيسي على الصفحة
الأولى قبل أن يناولني إياها.

قرأت العنوان الذي كان مكتوباً بالخط العريض "آلاف القتلى
كانت نتيجة مباراة كرة قدم بالدوري المحلي!"
"آلاف!!" همست إلى نفسي.

"وما يزيد الطين بلة.. الفاعل لم يُعاقب" قال السيد بارتولي.

- ليس بعد! ألهذا تريد لقائي لاحقاً؟
- نعم، لهذا السبب
- أنت تعرف كيف تصلني
- لكن قبل أن ترحل، يجب أن تعلم أمراً ما!
- ما هو؟
- هو.. أنني ممتن لك كثيراً!
- أنا من يجب عليه أن يكون ممتناً، شكراً على كل ما فعلته

صاحبني الفتى إلى خارج المنزل الذي كان ممتلئاً بالمعزين.
وعندما وصلت الشارع أخرجت هاتفني النقال وتفقدت الرسائل
والمكالمات الفائتة، كان هناك الكثير.

قائد

توجهت إلى الكافيتيريا التي يرتادها جمهور فريقنا. لم أجد اللون الأبيض هناك لكن الأسود كان باقياً، لكنه كان أشد قتامة. قبل كل ما حصل بالمعب، كنت تسمع أهازيج وأصوات المشجعين في الكافيتيريا حتى قبل أن تدخله! لكن يومها كان صامتاً! فتحت الباب ودخلت لأرى البعض هناك، لكن كان هناك وجوهاً كثيرة ناقصة، ومن الموجودين، رأيت الكثير من المصابين بأجسادهم، وإن لم يكن بأجسادهم فبأرواحهم.

ذهبت إلى المطبخ بالداخل لأتكلّم مع روبرتو، الشيف الذي كان يطبخ للاعبين الفريق، وأصبح الطباخ بالكافيتيريا التابعة للألتراس بعدما تجاوز السبعين من عمره وهو يعمل بالكافيتيريا منذ ما يقارب العشرين عاماً. "لقد قرأت رسالتك" بدأت الحديث.

- أوه! لوكا، اجلس رجاء!
- من لقي حتفه منا؟
- سنتكلّم بهذا الأمر لاحقاً، لأنه سيأخذ وقتاً طويلاً
- وهل هناك أمر أهم من ذلك لنتكلّم به؟

- لوكا.. أنت تعلم أنني أفضل الأفعال على الأقوال، أليس

كذلك؟

لقد سرت رعشة في جسدي عند سماعي لكلمات السيد ماورو تلك، فهو معروف بين معظم الناس بـ"الشيف"، والقليل فقط يعرفه تحت لقب "شيف البشر". إن كان اعتقادك بأنه يسمى بشيف البشر لأنه يطهو الأعضاء البشرية فأنت محق تمامًا!

عند الأغلبية، حكاية طهي السيد ماورو لعدة جنود خلال الحرب العالمية الثانية مجرد أسطورة، لكن الحقيقة هو أنه فعلها أكثر من مرة، ولأكثر من خمسين شخصًا. بدأ السيد ماورو بطهي البشر خلال الحرب العالمية الثانية ولم يكن يبلغ حينها سوى الثامنة عشرة من العمر.

كان روبرتو ماورو هو الطباخ للكتيبة السابعة والمسؤول عن الطعام، وعندما نفذ الطعام وتوقفت الإمدادات الغذائية عنهم، خشي على جيش بلده الهزيمة فقرر أن يطهو جيش الأعداء وإطعامه لأفراد جيشه، دون علم أحد بذلك بالطبع.

بسبب قصته تلك، جعلناه يقسم على شعار النادي بالألوان المطبخ
لنا سوى المأكولات التي لا تحتوي على أعضاء بشرية داخلها.
"هل تشك بأمر ما سيد ماورو؟!" سألت وأنا لا أجد الصبر
لانتظار رده.

- أنا متأكد!

إن قال السيد ماورو بأن هناك خطباً ما فهذا يعني أن هناك
خطباً ما! "ألم ترى اللاعبين؟!" سألني السيد ماورو.

وقبل أن أتكلم دخل مشجع شاب إلى المطبخ ليخبر ماورو بأن
الأموال بالأرصدة البنكية للاعبين قد ارتفعت بشكل كبير بعد
المباراة. أشار السيد ماورو للشاب بالخروج. أغلق الشاب الباب
وراءه لكن فمي كان ما يزال مفتوحاً بسبب الدهول. "هل تقصد
بأن اللاعبين كانوا متأمرين؟!" سألت وأنا أعرف أن الأسوأ هو
الإجابة.

- اللاعبين.. ومن دفع الأموال للاعبين

- ربما كان الفريق المنافس!

- الفريق المنافس ليس لديه كمية الأموال الكافية لرشوة فريق. لا بد أن الفاعل ثري وذو سلطة!
- هل يجب على روابط مشجعي الأندية الاجتماع؟
- بالتأكيد، وكنا بانتظارك لتعود سالمًا
- أنا؟!!
- نعم، فبعد مقتل إميليو اختارتك الجماهير لتكون قائدًا جديدًا للألتراس. هل تقبل؟

تنصيب قائد جديد للألتراس فريقنا يتم بمراحل عدة، أولها القسم بالولاء أمام الجماهير لفعل كل ما يلزم لخدمة اللعبة والفريق. خرجت مع السيد ماورو إلى الكافيتيريا وبدأ روبرتو الحديث:

- في الأيام القليلة الماضية، عاش مشجعو فريقنا أيام سوداء إثر المجزرة التي أوقعت آلاف القتلى من أحبائنا وإخواننا. لكننا هنا في هذا الألتراس كوّننا كياناً لا يزحزح عن حب وتشجيع الفريق. نحن الألتراس الأكبر في البلاد كلها، وسنبقى كذلك طالما كان عندنا أنتم، وكذلك قائد كبير. بعد الحدث المؤسف الذي حل بقائدنا

المتوفى، إميليو سالفاتوري، اتفقت جماهير الفريق على
انتخاب لوكا سانتانا قائداً جديداً للألتراس. وها هو هنا
أمامكم لاستلام المنصب الجديد. سيد سانتانا، هل تقبل
بأن تكون قائداً للألتراس؟

- نعم، أقبل
- وهل تقسم ببذل كل الجهود لإبقاء هذا الكيان صامداً؟
- نعم
- السيد لوكا سانتانا، أنت الآن قائدنا الجديد

قائد!!

ما معنى "قائد"؟

ماذا يفعل القادة العظماء ليصبحوا عظماء؟

كان علي فعل أمر ما بشأن اللاعبين المتآمرين فأصدرت أمراً
لتشكيل لجنة جديدة للألتراس بعد مقتل عدد كبير من أعضاء
اللجنة التي كان يرأسها إميليو.

تقرر عقد اجتماع تشكيل اللجنة باليوم التالي، لكن يومها كان علي التشاور مع ماورو حول ما سنفعله بشأن المتآمرين. عدت إلى المطبخ سريعاً بعد إعلانني قائداً للآلتراس وعلم ماورو برغبتني الحديث معه فعاد هو أيضاً إلى المطبخ. "ألن تنتظر إلى الغد؟" سأل ماورو.

- أريد أن أخبرك أمراً ما
- ما هو؟
- لويجي بارتولي
- ما به؟
- اعتنى بي بعد الأحداث
- حقاً؟!
- نعم، وطلب أن يراني
- وهل ستفعل ذلك؟
- بالتأكيد
- هل طلب لقاؤك بصفتك لوكا سانتانا أم أحد أفراد آلتراس فريقنا؟

- طلب لقائي بصفتي شخصًا لا أعرف من هو حقًا.. لقد كان لطيفًا معي بشدة!
- هل كان لطيفًا بشكل يثير الريبة؟
- كلا
- متى ستلتقيه؟
- هو سيتصل

خرجت من الكافيتيريا بصفة مغايرة عن تلك التي دخلت بها إلى هناك. توجهت بعدها رأسًا إلى شقتي.

أنرت التلفاز فكانت كل القنوات المحلية تتحدث عن المجزرة التي حصلت بالملعب. لكن خبرًا عاجلاً على القناة الإخبارية الأولى غير كل مخططاتي القيادية للألتراس. "إلغاء الدوري المحلي لكرة القدم لهذا الموسم" صدمني الخبر.

لم أمكث بعد معرفة الخبر لدقيقة أخرى بشقتي لأعود سريعًا إلى الكافيتيريا. سمعت صرخات غاضبة عن بُعد قبل وصولي إليها فهولت مسرعًا إلى الداخل.

صمت الجميع عند رؤيتهم لي. صعدت على إحدى طاولات الكافيتيريا وبدأت الحديث:

- أعتقد بأن الجميع يعلم الآن بأن الدوري قد ألغي وهذا يعني أنه لن يكون لنا مشاركات تشجيعية داخل الملعب ولكن هذا لن يمنعنا من استمرارنا بالعمل لمصلحة كرة القدم، ولمصلحة فريقنا طبعًا. لن أطيل عليكم، هناك تلاعب من قبل اللاعبين وهذا يعني أن جهة أكبر لها ضلع بالأمر وهم جميعًا مسؤولون عن مقتل الكثير من أحبائنا، ويجب أن نحاسبهم على هذا! أمر آخر يجب أن تعرفوه هو أن السيد لويجي بارتولي قد اعتنى بصحتي بعد الاحداث وطلب لقائي، وبصفتي القائد الجديد للأتراسنا سأعرض عليه مسألة الدفاع عن كرة القدم ومعاقبة المسؤولين عما جرى ولهذا سنؤجل مسألة تكوين لجنة جديدة للأتراس. هل توافقون؟

تعالى الأصوات بين الجماهير منادية باستعجال محاكمة كل من كان له دخل بمقتل الجماهير ولهذا عقدت اجتماعًا سريعًا مع

السيد ماورو. "أرى أنه لا يجب أن نتخذ أي فعل حتى تجتمع
بقيادة ألتراسات الأندية الأخرى!" نصحني ماورو.

- لكن مسألة اللاعبين المتأمرين تتعلق بنا، بفريقنا!
- لكن قد يعرضنا هذا لأن نكشف خططنا!
- وما هي خططنا؟
- لا أعلم! هل وضعت خططًا؟
- سنبدأ من لاعب نحن متأكدون تمامًا من تورطه
- حارس المرمى؟
- تمامًا!

لدى الألتراس جميع المعلومات عن اللاعبين، ومن ضمنها طبعًا
مكان سكنهم. لكن الأمر ليس بالبساطة التي يظنها المعظم، فأنت
بحاجة لسبب مقنع يجعلك تقابل أحد لاعبي أفضل فريق بالبلاد
وجهًا لوجه.

وضعت احتمال أن تسوء الأمور فأمرت أقوى مشجع للفريق وهو
الحائط مورو بمرافقتي. رغم تشابه اسمه مع اسم السيد ماورو،
لكن جسمهما كانا على طرفي نقيض. ذهبنا معًا وقد كانت

الساعة تقارب الثامنة مساءً إلى منزل حارس مرمى فريقنا. ربما علي القول "قصر حارس مرمى فريقنا" فمساحته الكبيرة والأشجار والأضواء التي أحاطته لا تكون من ميزات منزل عادي. ألبرتو كارانتا، حارس مرمى فريقنا، كان لديه حرس بدوره.

توجهت نحو حارس البوابة الخارجية وبدأت:

- مرحباً! هل السيد كارانتا موجود؟
- السيد كارانتا مشغول حالياً
- لكنني لوكا سانتانا، القائد الجديد للألتراس ونود أن نعزيه بما حصل
- يمكنك القيام بذلك لاحقاً فالسيارة بطريقها لأخذه إلى المطار

كان الوغد يفكر بمغادرة البلاد وهذا يعني طيران طرف الخيط. لم يكن بمقدورنا السماح له بالهرب فاتصلت سريعاً بالسيد ماورو وسألته إن كان بالإمكان التنصت على شركات سيارات الليموزين في المدينة لمعرفة أي شركة وأي سيارة ستقل كارانتا

إلى المطار. أخبرني ماورو بأن الأمر لن يأخذ أكثر من دقائق لمعرفة السيارة، فأمرته بعدها باستدراج السيارة إلى مكان ناء كي يسهل علينا السيطرة عليها دون لفت انتباه أحد إلينا.

ذهبت أنا وماورو لانتظار الليموزين عند الشارع الفرعي الذي سنستدرج السيارة إليه. لم ننتظر كثيراً حتى جاءت. في أي عملية تحتاج إلى القوة ستفوز بها أنت إن كان ماورو بصفك. لن أقول "مثل ماورو" فهو ماورو واحد.

حاولنا الاستيلاء على السيارة دون إلحاق أي أذى بالسائق لكنه رفض التعاون، فكان على ماورو التصرف. أمسك ماورو السائق من تلايب بدلته بيد بينما كانت اليد الأخرى على فم السائق للتأكد من عدم صراخه.

لحسن حظ السائق أنه لم يحاول الهرب أو جلب الانتباه نحونا. ربطنا قدميه ويديه بواسطة روابط بلاستيكية ووضعنا كيساً على رأسه وأخبرناه بأنه إن قال شيئاً عمّا حصل لأي أحد، سيكون أمراً آخر ذلك الذي سيوضع على رأسه حينها. أخذت أنا

مقعد السياقة وأمرت مورو بالعودة إلى الكافيتيريا وتحضير مخبئ سري لإبقاء كارانتا فيه عند اختطافه.

قدت إلى قصر ألبرتو كارانتا. لم أنتظر سوى لثوان حتى نزل وركب بالسيارة دون جلب أي حقائب.

لم أحاول الحديث معه وبدوت حقاً كسائق ليموزين متمرس. وعند ابتعادنا عن الشوارع الرئيسية، استوقفتنا سيارتين بوقوفهما في منتصف أحد الشوارع الفرعية. توقفنا قبل أن ينزل سبعة رجال من السيارتين. اقترب أحدهم من باب السائق وأمرني أن أفنتحه. حاولت الهرب لكن إحدى السيارتين تحركت لتصد طريقي مجدداً.

لم يكن هنالك مجال للهرب!

تم انتشالي من السيارة بينما كان كارانتا يرتجف خوفاً بالخلف.

تم وضعي في سيارة من السيارتين، ووضِع كارانتا في السيارة الثانية.

في السيارة التي وُضعت فيها، أخبرت الرجال بأنهم أبلو بلاء حسناً لكنني حذرتهم بأن اسمي يجب أن يظل بعيداً عمّا يحصل، على الأقل حتى اجتماع مسؤولي الألتراسات.

ذهبت السيارة التي كنت بها إلى الكافيتيريا، بينما اتجهت السيارة التي تحوي كارانتا إلى المخبئ السري. أخبرت الرجال بأنني لا أريد أن يحصل أي شيء لكارانتا حتى الوصول إلى قرار من اجتماع الألتراسات للأندية الأخرى، والذي كان مقرراً أن ينعقد في اليوم التالي.

الاجتماع.

عُقد الاجتماع بمنزل السيد لويجي بارتولي. وحضر ممثلو ألتراسات الأندية جميعهم. "هل أنتم مستعدون للرد بالفعل نفسه؟" كان سؤال بارتولي سريعاً ومختصراً لكثير من الحوارات الدبلوماسية.

الإجابة.

"نعم!" بالإجماع.

تقرر بعدها تشكيل رابطة موحدة للتحقيق بالأحداث وتنفيذ الأحكام التي تتخذها الرابطة. وتم إطلاق اسم "الألتراس" على الرابطة دون إلحاق أي اسم آخر بعدها، وتم تعييني قائداً لها.

بعد الاجتماع اتصلت بأحد الرجال وأمرتهم بالسيطرة على كارانتا، وقد أجريت هذا الاتصال أمام أعضاء الألتراس الآخرين الذين انصرفوا من الاجتماع إلا أنا، فالسيد بارتولي أراد أن يخبرني أمراً ما. "أتريد أن تعرف لم أنا ممتن لك حقاً؟" سأل السيد بارتولي.

- إن أردت ذلك

- بالتأكيد، فذلك سيريحني جداً

- حسناً

- إميليو ابني

لم أقل شيئاً. لكن ما قاله لم يكن مفاجئاً حقاً، فأنا لطلما توقعت ذلك لكنني خشيت أن أسأل إميليو عن مشاكله مع والده.

"أتعلم ماذا يعني هذا؟" سأل السيد بارتولي مجدداً.

- هذا يعني أننا يجب أن ننتقم بشدة!

ذهبت بعدها إلى المخبئ السري حيث كان كارانتا. "من دفع لكم؟" بدأت التحقيق معه سريعاً.

- لا نعلم

- الأموال ظهرت لوحدها!

- لا، لا، كنا نعرف أنهم سيدفعون لنا مالاً وثيراً لكننا لا نعرف الجهة الدافعة

- من أمركم باللعب بسوء؟

- رئيس النادي

- يون تشان!

لأقول الحق، كان لأموال يون تشان الفضل الأكبر بتحقيق نادينا الكثير من الألقاب لكن إن كان له ضلع بما حصل فإن ملايينه كلها لن تغفر له. حتى المقربون من يون تشان لا يستطيعون تحديد إن كان الرجل يأكل بينما يرسم، أم أنه يرسم بينما يأكل الأرز بأعواد الأكل الخشبية.

ليوفر الوقت، هناك أعواد أكل خاصة بالملياردير يون تشان،
فأعواده عبارة عن أقلام للرسم وأعواد أكل بالوقت نفسه.

محادثات في مكتب تشان

ذهبت أنا وجماعة من مشجعي الأندية المختلفة، ومن ضمنهم
مورو إلى قصر تشان. "من أنتم؟" سأل حارس من حراسه.

- نحن هنا من الألتراس لتعزية الرئيس

- تكلم الحارس مع تشان والذي سمح لنا بالصعود

حقيقة لم أتوقع أن تكون مهمة مقابلتنا للرئيس بهذه السهولة!

عندما دخلنا إلى مكتبه كان يأكل ويرسم. لم أبدأ بالكلام حتى
ينتهي من الأكل فأخبرني بأنه سيأخذ وقتاً طويلاً ليفعل ذلك.

"ماذا حصل حقاً بالملعب؟" سألت.

- مجزرة

كانت إجابته فارغة من أي إحساس.

"من المسؤول؟" سألت مجدداً.

- إنهم الألتراسات، فهم متحمسون لأمر تافهة

- تعتقد أن كرة القدم تافهة!

- مقارنة بالأموال؟ إنها كذلك

بدا على مورو الغضب فحاولت تهدئته.

"الأمور لم تجر على ما يرام" قال تشان بكل بساطة.

- من دفع الأموال؟
- شخص لديه الكثير من الأموال
- ولا يهتم بالأشخاص
- أي أشخاص؟
- الألتراس
- هاهاهاها.. هل تعتقد حقاً بأننا نهتم حقاً بما تسمونه "الآلتراسات" وروابط مشجعي الأندية؟ أنت مخطئ. كرة القدم مجرد عمل الآن

كان تشان يتحدث وهو يأكل الأرز غير مكترث بمن قُتل، لكن مورو كان قد اشتاط غضباً من لامبالاة تشان، فتقدم نحو مكتبه بعنفوانية مرعبة. حاول تشان الهرب لكن مورو أجلسه ومسك رأسه من الخلف بواسطة يده اليسرى ثم أخذ أحد أعواد الأكل وغرسها بعين تشان اليمنى ليخرج العود من الخلف مخترقاً الجمجمة، وجرح العود بطريقه اصبع مورو الذي أبعد يده برودة

فعل فبدأ دم تشان بالفوران من الجرح في خلفية رأسه. لم يقف
مورو مكتوف الأيدي ينظر إلى ماذا يجري، فأمسك رقبة تشان
وحركها ليكتب على الحائط بواسطة الدم الفائر من رأس رئيس
النادي تهديداً من الألتراس وقد كتب فيه "الألتراس قا..". لم
يكمل "مورو" الكتابة فالدماء كانت قد توقفت من الجرح بعدما
كانت كالنافورة، ولإكمال التهديد قطع مورو يد الرئيس اليسرى
وكتب آخر حرفين من التهديد "دم..".

لوهلة تمنيت أن أكون أنا مكان مورو لسبب واحد لا غير، أن
أشعر برأس غير رأس إميليو بين يدي علّ لحظة فراق صديقي
تفارقني. منذ مقتل إميليو، لا أصحو إلا على صورة رأسه
المشقوق ودمه يغطي وجهه ويدي. وربما، فقط ربما، إن أنهيت
على من كان مسؤولاً عن مقتله سيفارقني ذلك المشهد!
أعلم أننا لم نحصل على معلومات كثيرة من تشان، لكن رؤيته
مقتولاً لم تكن سيئة.

كان علينا الخروج دون معرفة الحرس بمقتل رئيسهم!

وبينما كنا نحاول إيجاد مخرج فتح حارس الباب ومعه الدون جيانتو شيلتا، المرشح لعمادة المدينة، ومعه مدير الأمن السيد سيرجي أليرتيني وثلاثة من الحرس الخاص.

عندما رأى حارس السيد تشان رئيسه مقتولاً حاول إطلاق النار لكن واحداً من حرس الدون شيلتا منعه من ذلك. "من أنت؟" سألني شيلتا.

- سانتانا

قبل أن يكمل كلامه، انتبه إلى التهديد "الألتراس قادم" المكتوب بدماء تشان على الحائط ثم نظر في عيني دون أن ينبس بشفة.

ما علاقة جيانتو شيلتا بتشان؟

ما علاقة مدير الأمن برئيس نادي كرة قدم ومرشح لعمادة المدينة؟

الإجابة كانت بالمكان، لا يمكن للعمدة الحالي أن يبقى بمنصبه بعد الذي حصل بالملاعب. وسيحل المرشح الوحيد مكانه.. الدون جيانتو "الغراندي" شيلتا.

من المحال أن يكون السؤال التالي "هل سيقتلنا؟!"

السؤال هو "كيف سيفعلها؟"

سيكون من الغباء أن يتركنا أحياء بعدما عرفنا سره.

كنا فريقين في مكتب تشان.

فريق "الألتراس" وضم ثمانية رجال ومورو.

والفريق الآخر "هم" تألف من حارس تشان المسلح وثلاثة

حراس لشيلتا وشيلتا وأليرتيني.

كان التفوق العددي لصالحنا، لكن السلاح الناري لم يكن كذلك.

وبالتأكيد وضعت إمكانيّة صعود حرس شيلتا الذي بقي خارج

القصر إلى المكتب، وحرس تشان أيضاً.

كانت مسألة معقدة.

لم يرغب أحد منا بدء الاشتباك، رغم أننا كنا نعلم أن سيحصل.

نهبت نحو تشان وأخرجت العود من رأسه. وبدأت بتحريكه

كمايسترو يوجه الملحنين، تماماً كما كان إميليو يوجهنا. لكن

الموسيقى التي ننتجها خارج الملعب غير تلك التي نعزفها على المدرجات. مورو، عازفي المفضل، بدأ بالعزف بالطرق على رأس أحد حراس شيلتا وقذفه سريعاً نحو حارس تشان المسلح ليسقط سلاحه أرضاً.

العازفون الآخرون عزفوا مقطوعة ملحمية عندما سيطروا على الحارسين الآخرين وكسر هاتف شيلتا النقال عندما حاول الاتصال بمن هم خارج المكتب. كانت الأمور تجري لصالحنا لكن عندما أخرج أليرتيني مسدساً صغيراً من جرابه شعرت بالقلق. وعندما وجهه تجاهي ارتعبت! صرخت بمورو ورميت له العود فتوجهت فوهة مسدس أليرتيني نحو مورو، أمسك مورو العود ورماه بسرعة وبقوة إلى المسدس لتسد ماسورته. ضغط أليرتيني على الزناد لكن الرصاصة لم تنطلق.

بينما كان رجال الألتراس يسيطرون على باقي الرجال بالمكتب، توجهت إلى أليرتيني وأخذت السلاح منه بعدما أنهكه مورو ضرباً. أخرجت العود من ماسورة المسدس ونظرت إلى وجه

أليرتيني الأنيق، وشعره المصفف بعناية. "اقتلني! ضع
الرصاصة برأسي إن كان ذلك يعدل النتيجة!!" صرخ أليرتيني.
أخرجت مخزن رصاص المسدس، وأخرجت الرصاصة التي كانت
موجودة ببيت النار. نظر جميع من كان بالمكتب نحوي.
"جبان!" قال أليرتيني موجهاً الكلام لي.

- سأقتلك.. لكن ليس بالرصاص

عاد الرعب إلى وجهه!

مسكت رأسه بقوة وأخرجت عينه اليسرى بواسطة إبهامي. كنت
أحاول أن أستمتع أكثر بالانتقام لكن الرغبة بالإنهاء عليه كانت
ملحة. فأمسكت المسدس وبدأت بالطرق على جبهته حتى تفتنت.

سقط جثة هامدة، وتدرجت عينه عند حدائي.

"لقد.. عادلتي النتيجة!" همس بيلتشا برعب.

"...أما الأسود.."

مصير من يلاعبنا..

لا نرضى بغير الفوز..

لا نرضى بغير الفوز..

فلون الفوز أبيض وأسود... " بدأت بالغناء.

"...نحن كالسماء فوق الجميع..

لا يعلو علينا أحد..

نحن كالسماء فوق الجميع... " بدأ مشجع آخر.

بدأت أصوات غناء المشجعين تتعالى في المكتب. مشجعون

مختلفون لأندية عديدة.

الأصوات تعلو وتعلو، كأننا كنا آلاف المشجعين!

قرفت لأحمل عين أليرتيني. حملتها بكفي واقتربت نحو شيلتا

ورميتها بحضنه. " احتفظ بهذه.. لتتذكر أننا نراقبك!"

الفصل الخامس

بعدها بأسابيع، تم انتخاب الدون جياننتو "الغراندي" شيلتنا
عمدة للمدينة وبدأت عمليات تطوير كبيرة لكافة المنشآت
الرياضية. وأصبحت الهدايا تهطل على أعضاء الألتراس، كنت
أعرف أنها من الدون شيلتنا رغم أنها لم تحمل توقيع المرسل.
استمر هذا الحال لأشهر حتى تلقيت اتصالاً هاتفياً:

- مرحباً
- مرحباً
- كيف الحال سيد سانتانا؟
- بخير! من المتصل؟
- "الغراندي"
- هل أنت من كان يرسل الهدايا؟
- هل أعجبتمكم؟
- كثيراً.. متى سيعود الدوري؟
- إن هذا القرار ليس بيدي وحدي. هذا قرار يجب أن يمر
بأكثر من وزارة، ويجب أن يصدق عليه رئيس الدولة
أيضاً

- وكيف ترى عمادة مدينتنا؟
- جيدة.. لكن أنت تعلم، ولاية العمادة تستمر لأربع سنوات فقط
- سيعاد انتخابك
- أعلم.. أعلم.. وهذا موضوع أردت أن تساعدني به
- هل تعني القضاء على المرشحين المحتملين؟
- لا، لا "سيادة.. الرئيس.. جيانتو شيلتا" هل يعجبك وقع الاسم؟
- فقط إن كان لوكا سانتانا هو وزير الرياضة
- هل أفهم أنك موافق؟



الألتراس

بعد الكشف عن مؤامرة كبيرة، تتوحد روابط مشجعي
أندية كرة القدم للدفاع عن اللعبة.